تصدير

كم من مفكر وكم من أديب كان له الفضل الأعظم فى بعث أمة بأسرها وخلق شعب بأكمله ، ولكن الزمان محا شخصيته محوا وطواها بين صفحاته طيا فلم يعرف الناس من أمره شيئاً ، وإذا خطر لهم أن يدرسوا حياته تاهوا فى عالم الروايات المتضاربة والأساطير الغامضة ووجدوا أنفسهم مضطرين إلى اختراع شخصيته وابتكارها .

ويأتى هوميروس فى طليعة هؤلاء الأدباء ؛ نظم الإلياذه والأوديسا ، أروع ملحمتين ظهرتا فى الوجود ، وبقيتا قوام الحياة اليونانية آلاف السنين وأثرتا فى الأدب الإنسانى بالأمس وتؤثران فيه حتى اليوم .

وإذا كان العالم مدينا لليونان بشىء من حضارته القديمة ، فهم مدينون لهوميروس بكل شىء لأن حضارتهم التى عرفت الشعر التمثيلى وأنشأت الفلسفة وخلقت الفن لم تكن لتوجد إذا لم يظهر هذا الشاعر ، فايسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس لم يبتكروا مسرحياتهم ابتكاراً وإنما التمسوا أكثرها فى قصائده ، وسقراط وأفلاطون وأرسطو — فلاسفة العالم الأول — رجعوا إلى أشعاره فى فلسفتهم لأنها كانت سجلا للمثل العليا فى الحياة الإنسانية البريئة .

ثم دالت دولة اليونان وظهرت غيرها من الدول وسيطرت على العالم ومع ذلك بقى الأدباء فى مختلف العصور يلتمسون نماذجهم فى الالياذه والأوديسا فيتأثرون بهما كما تأثر أدباء اليونان ، ويترجمونهما إلى لغاتهم ويقتبسون منهما المسرحيات ويخرجون الأفلام .

فأنت ترى ، أيها القارىء الكريم ، أنه من الصعب تأليف كتاب صغير عن هوميروس لأنه كان موضوعاً لآلاف الأبحاث والمجلدات التى كتبت منذ عشرات القرون ، ولأنه ليس شاعرا كبقية الشعراء ، فهو لم يصف المجتمع الذى ظهر فيه بل وصف مجتمعات قديمة كان لا يعرف عنها إلا شيئا قليلا ، ولم يستخدم لغة عصره بل استخدم لغة لم يتكلمها الناس لأنها كانت خليطا من لهجات متباينة ، والأشعار التى نظمها لم تدون عندما ألقاها ولكن بعد أن تغنى بها غيره من المنشدين فى مختلف البلاد ، وفوق ذلك فان دراسته لا تتطلب قراءة شعره فحسب بل تحتاج أيضا إلى معرفة واسعة بتاريخ اليونان وآثارهم ، بأساطيرهم ودياناتهم وغير ذلك مما يستحيل الإلمام به أو التعرض إليه فى مثل هذا الكتاب

لذا اكتفينا فى الفصول التالية بمعالجة الجانب الأدبى لنحبب الاشعار الهومرية إلى القارىء العربى فيتلو منها ما يريد ويعرف منزلة صاحبها بين قادة الفكر القديم والمعاصر ؟

القاهرة ديسمبر سنة ١٩٥٦ — محمد صقر خفاجه